❖ -النشأة الاكاديمية لعم الاجتماع

تاريخ علم الاجتماع -من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع-

بدأ تفكير الإنسان في الحياة الاجتماعية منذ بدأ يفكر في نفسه لان وجوده ووجود المجتمع الإنساني متلازمان معا، ومن هنا فالحديث عن نشأة علم الاجتماع وتطوره، مرتبط بتاريخ الفكر الاجتماعي عبر مراحل التالية:

- **المرحلة التمهيدية:** وسنخصصها للحضارات القديمة حيث كان منهاجها في الحكم والعيش تمهيدا للفكر الاجتماعي الذي ما يزال أسلوبا منتهجا في دول ومجتمعات كثيرة إلى يومنا هذا ومنها:

-**الحضارات القديمة:** خضعت مختلف المجتمعات التاريخية القديمة للتطور الحضاري، وانتقلت في هذا السلم من حياة الترحال وعدم الاستقرار إلى حياة الاستقرار والتنظيم الاجتماعي، واستفادة من الخبرات الاجتماعية وتقدم النواحي التكنولوجية الفتية، وخلفت آثارا حضارية مادية؛ وكانت لها فلسفة اجتماعية وكونية، وعرفت تقسيم العمل والتخصص الاجتماعي، وظهور الوعي بالفكر السياسي، ونشأة الوحدة الاجتماعية الكبيرة للمجتمع المحلي في صورة قرية أو مدينة، ويمتاز البناء الاجتماعي في هذه المرحلة بوضوح نظام التدرج الطبقي واستناد النظام السياسي والاقتصادي على أساس ديني، ويعتبر هذا البناء الاجتماعي في مستواه العام، مرآة للمثل الاجتماعية التي يرتضيها المجتمع كأهداف غائية في العلاقات الإنسانية .

-**الحضارة الفرعونية:** إذا حللنا النظام السائد في مصر الفرعونية فنلاحظ أن البناء الاجتماعي لها كان يرتكز على تقسيم طبقي في قمة هذا البناء الطبقي يقوم الفراعنة لا باعتبارهم مجرد حكاما سياسيين أو رؤساء للدولة، ولكن باعتبارهم آلهة لذلك فإنهم كانوا يجمعون في آن واحد بين السلطات الدنيوية والأخروية، يلي هذه الطبقة طبقة الكهنة الذين يستمدون قداسة أعمالهم في المعبد وتفانيهم في خدمتهم لفرعون باعتباره إلاها، ثم تأتي طبقة الجيش وهم القائمون على حراسة الأماكن المقدسة، ثم تليها طبقة الحرفيين والشيء الهام في هذا النظام هو الارتكاز على النظام الديني، و قد أثبتت الوثائق التاريخية التي عثر عليها علماء الآثار أن الفكر الاجتماعي الفرعوني قد وعى بفكرة الملكية باعتبارها إحدى الحقوق القدسية الإلهية فممتلكات المعابد من الأموال التي ال يجوز ملكيتها ملكية فردية، فالله هو صاحب الملك والتصرف والكهنة هم من يقومون بخدمة الله أما بالنسبة للأفكار القانونية، ويعتبر الفكر الاجتماعي الفرعوني باكورة التفكير الاجتماعي العلمي لأنه يعكس أول مرحلة من مراحل النضج والوعي السياسي كان له فائدته التاريخية للإنسانية عامة.

-**الحضارة الصينية:** تنازع الفكر الاجتماعي الصيني القديم عدة تيارات متنافسة لعل أهمها الكونفوشيوسية والقانونية والتاوية والموتستية، نأخذ على سبيل المثال الكونفوشيوسية حيث يعتبر الحكيم كونفوشيوس مؤسس أول مدرسة اجتماعية في الحضارات الشرقية القديمة أسهمت في كثير من الدراسات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وكانت لها أثارها العميقة في الحياة الفكرية والعلمية للصين قبل الثورة الشيوعية المعاصرة لان أراء كونفوشيوس ارتكزت على تمجيد النظام الإقطاعي واتخاذه أساسا للبناء الاجتماعي والتنظيم الاقتصادي والسياسي، فالمجتمع في نظر كونفوشيوس لابد أن يكون مجتمعا طبقيا يضع في الاعتبار الأول صيانة حق الملكية وهي رد فعل عنيف ضد ما انتشر في أيام كونفوشيوس من أراء فوضوية أدت إلى انتشار حالة من الاضطراب وعدم

الطمأنينة، وكان لابد من مواجهتها بإقرار سياسة اجتماعية وإصلاحية هدفها إحياء التقاليد على أساس تدعيم النظام الطبقي الصيني القديم حيث كان يجلس في قمة الهرم الإمبراطور وأسرته ثم يليه الأحرار فالنبلاء والإشراف ثم في آخر درج السلم الاجتماعي عامة الشعب، و من التقاليد الراسخة لدى الصينيين في فكرهم الاجتماعي القديم أن يحفظوا للأباطرة مكانتهم الدينية وأحقيتهم السلطوية لان العناية الإلهية فوضتهم بمهام مناصبهم نظرا لمواهبهم وقدراتهم العقلية ومواقفهم الخيرة؛ وهم يظلون في مراكزهم طالما ظلوا متمسكين بالقانون الأسمى إذن فلسفة كونفوشيوس ترى أن النظام الاجتماعي الناجح هو الذي يقوم على أساس ديني و أن العلاقات الاجتماعية لابد أن تستمد من الله الأعظم أما التخطيط التربوي والنظام التعليمي هو الطريق الوحيد إلى الفضيلة.

-**الحضارة اليونانية:** يزعم كثير من مؤرخي الفكر اليوناني إن أول من وجه الفكر الإنساني المنظم لشؤون الإنسان الاجتماعية هو الفيلسوف الإغريقي سقراط الذي ينتمي إليه عادة الفكر الإنساني لأنه أول من أقر التأمل الفلسفي في الطبيعة ونادي للمعرفة المحضة الخالية من شوائب الميتافيزيقا حيث يعتبر أول من انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض.

إن الفكر الاجتماعي الإغريقي الطوباوي (المثالي)عند أفلاطون انطوى على تصورات ذهنية وتطلعات مثالية حيث يرى أفلاطون أن المدينة في إبعادها ليست إلا تجسيدا للمجتمع الكبير، على أن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن التراث الفكري الاجتماعي اليوناني كان يخلو في هذه المرحلة من تحليل دقيق لمظاهر الحياة الاجتماعية فمثال التدرج الهرمي البنائي حيث صور أفلاطون المدينة الفاضلة وكأنها ارتكزت على ثلاثة طبقات متدرجة هرميا لكل طبقة وظائفها المتخصصة، طبقة الحكام تتولى سياسة أمور الدولة العليا؛ ثم يليها طبقة الجند التي تقوم بواجب حماية مصالح الطبقة الحاكمة؛ ثم طبقة العمال من فلاحين وصناعيين تعمل على توفير حاجيات الشعب. ولبيان إسهام الفلسفة اليونانية في نشأة وتطور علم الاجتماع يكفي أن نلقي نظرة سريعة على فيلسوفين عظيمين تأثرت بهما مجتمعات غربية وشرقية هما أفلاطون تلميذ سقراط والمقدم الحقيقي لفكره، وأرسطو طاليس الذي وإن تأثر بهاذين الاثنين إلا أنه استطاع أن يقدم للعالم فلسفة خاصة به.

-**الحضارة الإسلامية:** وقد بدأت من القرن 7 إلى حدود القرن 14، حيث ظهرت البذور الأولى التي زرعها المفكرون العرب في توضيح حاجة الأفراد إلى الاجتماع والعيش سوية من أهم رواد هذه المرحلة نذكر:

أ-**الجاحظ (776 -869)** الذي اعتبر تأصل حاجة الاجتماع في طبع الفرد من أجل المحافظة على وجوده وتعايشه، ولما كان المجتمع العربي قائما على صلة الأرحام والأنساب فان هذه الحاجة تكون وظيفتها ربط أبناء النسب الواحد وتعمل على تكاتفهم وتزيد من تقدمهم وتطورهم الاجتماعي.

ب-**الفارابي (874 -950):** وهو صاحب كتاب"أراء أهل المدينة الفاضلة" وكتاب السياسات الدينية حاول التوفيق بين الفلسفة الاجتماعية واليونانية والإسلامية وقد تحدث عن المدينة الفاضلة وهي المدينة التي يتعاون أفرادها مع بعضهم بهدف تحقيق العدالة والمساواة، ومن أهم وظائف المدينة الفاضلة قضية (الرئاسة) على اعتبار أن الرئيس أو الحاكم هو منبع السلطة العليا وهو المثل الأعلى الذي تتحقق في شخصيته جميع معاني الكمال وهو مصدر حياة المدينة ودعامة نظامه

ج-**ابن خلدون (1332** -1406 هو المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ، وقد ارجع حاجة الإنسان إلى الاجتماع والتعاون من اجل البقاء مؤكدا ضرورة وجود وازع يجمع بينهم ويدافع عنهم لصد الاعتداءات الخارجية ومنع الظلم الذي يقع عليهم ألا وهو الملك، كما قدم إسهامات جليلة لتطوير الفكر الاجتماعي منها:

-الدراسة التاريخية للمجتمع مشيرا إلى أن المجتمع يمر بمراحل تاريخية متباينة.

-قسم المجتمعات إلى أنواع مختلفة وفقا لدرجة تقدمها الحضاري والاقتصادي والفني.

-الحركة الاجتماعية في دورة مستمرة وتؤدي وظيفتها بشكل آلي ودائم لا ينقطع.

- أن الاجتماع الإنساني ضروري لان الإنسان مدني بطبعه

❖ البوادر الأولى لتأسيس علم الاجتماع:

و بدأت في مطلع القرن 15 و هي ما يعرف بمرحلة القوانين أو المرحلة الوضعية، اتسمت بتأثرها بالعلوم الطبيعية ومعارضتها للفلسفة الغيبية بغية الوصول إلى وضع قوانين ترشد و تقود الظواهر والوقائع الاجتماعية مستخدمة التفسيرات العقلية، ومنهج الملاحظة المنظمة في دراسة الواقع الاجتماعي، و منهج المقارنة لمعرفة ايجابيات وسلبيات وظائف وأنشطة أقسام المجتمع ودرجة تطوره وتمدنه مطالبة بوحدة الفكر الإنساني والالتزام بالمثل العليا بهدف تحسين أوضاع المجتمع حسب قوانين و أطر يضعها علم الاجتماع من أجل إعادة تنظيم المجتمع وبنائه وفق أسس وقواعد علمية ومن هنا جاء عدم إيمانها بالحقائق المطلقة والقوانين الثابتة مقلدة العلوم الطبيعية متناسية أن العناصر البشرية وعلاقتها بعضها ببعض لا تشبه علاقة العناصر الكيماوية، فعلاقة الفرد بالأسرة لا تشبه علاقة الأوكسجين مع الهيدروجين ، ومن أبرز مفكري هذه المرحلة:

أ-فيكو جيوفاني باتيستا (1668 – 1744) وهو عالم إيطالي.

ب-فولتير فرانسوا ماري أرويه)1694 – 1778 :)وهو عالم فرنسي، عرف عنه دفاعه المستميت عن الإصلاح الاجتماعي بالرغم من القوانين الصارمة والعقوبات القاسية التي يتعرض لها كل من يحاول خرق هذه القوانين، وعلى اعتبار أنه واحد من الذين برعوا في فن المجادلة والمناظرات، فلطالما أحسن استغال أعماله لانتقاد الكنيسة الكاثوليكية والمؤسسات الاجتماعية الفرنسية في عصره.

- **عصر التنوير:** يعتبر القرن 18 عصر الأنوار، من بين فالسفة التنوير نجد مونتيسكيو، روسو، كانط، هؤلاء المفكرين وضعوا العقل فوق كل اعتبار، و أوكلوا له سلطة مطلقة تتجاوز حتى سلطة المقدس (سلطة رجال الدين والكتب المقدسة)، بالنسبة لهم الإنسان يجب أن يكون مركز المعرفة ومصدرها، كما تظهره مقولة كانط» فلتكن لديك الشجاعة والجرأة لتستخدم فكرك"، هذا التوجه العقلاني خلق في المجتمعات الأوربية انجذابا قويا نحو العلم والمعرفة، ليكون عصر التنوير مناسبة لظهور العلموية* والفلسفة الوضعية*، حيث تركت أعمالهم و أفكارهم بصمتها الواضحة على الثورة الأمريكية و الفرنسية.

❖ نشأة وتطور علم الاجتماع في الوطن العربي:

كانت بداية دخول علم الاجتماع إلى الوطن العربي عن طريق الجامعات والكليات، على الرغم من نشوئه على يد المفكر العربي "ابن خلدون" إلا انه منذ دخوله وحتى عام 1950 قد جلب معه معظم أدبيات، ودراسات، ونظريات، ومناهج علم الاجتماع الغربي، ومن خمسينات حتى ستينات القرن الماضي انتقل إلى مرحلة جديدة وهي النسخ، أي تقليد نتاجات الدراسات الغربية، سواء على نطاق البحث أو الموضوع من قبل الباحثين الاجتماعيين العرب، وفي مرحلة السبعينات انتبه الباحثون العرب إلى ضرورة دراسة واقعهم برؤية تمثل مجتمعهم العربي وبدون أدوات غربية، و في سنوات الثمانينات ظهرت الدعوة القومية لبعض الدارسين والباحثين الاجتماعيين العرب الملتزمين بالموضوعية والواعين بمصيرهم القومي فاهتموا بطرح وتحليل مشاكل وظواهر مجتمعهم العربي الأكبر أكثر من مجتمعاتهم الإقليمية. وقد تكون مرحلة التسعينات متضمنة اختبارات لنظريات ودراسات وأفكار غربية من خلال البيئة العربية والعقلية العربية وتقويمها ونقدها بشكل موضوعي غير متحيز أو إن الاجتماعيين العرب لن يقبلوا كل ما يأتي بعد من الغرب في ميدان علم الاجتماع بل ما يفيد مجتمعهم ومستقبله أو ما يتناسب مع مرحلته التطورية وأخيرا التأكد من نتائج الاختبارات والانتقادات – سوف تظهر أفكار جديدة ومبتكرة أو متفاعلة تمثل العقلية العربية والطموح العلمي المنطلق من البيئة القومية، ومن ثم تتفاعل مع محاولات مماثلة أو مشابهة في مجتمعات نامية مثل مجتمعات أمريكا اللاتينية أو بعض مجتمعات آسيا مثل الهند وباكستان وبنجلادش وغيرها.

***العلمية:** هي نزعة تقوم على الإيمان بالقوة الكبيرة للعلم وقدرته على حـ ّل كل مشاكل الإنسانية، هي كذلك اعتقاد فلسفي يؤكد أن العلم يتيح لنا معرفة كلية للأشياء الموجودة في الكون، وهي كافية لتحقيق الطموح الإنساني.

***الوضعية(Positivisme) :** عقيدة فلسفية طورها "أوغست كونت"، والتي تعتبر أن المعرفة الوحيدة أو السبيل الوحيد للمعرفة هي ملاحظة الوقائع والتجربة العلمية **(سيتم شرح ذلك من خلال المحاضرات القادمة)**

❖ أهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية التي واكبت ظهور علم الاجتماع الغربي:

النظام الإقطاعي: عاشت أوروبا في ظل هذا النظام عصور عدة، حيث كان المجتمع ينقسم لطبقتين أساسيتين هما، طبقة الإقطاعين الذين يملكون جميع الأراضي الزراعية، وطبقة دنيا من فلاحين وعمال وكانوا يمثلون النسبة الكبرى من المجتمع، كما وجدت عدة طبقات أخرى كالأرستقراطية، والنبلاء، وطبقة التجار ورجال الدين– المعرفة السائدة فيه، معرفه الهوية ميتافيزيقية قدمت عن طريق الكنيسة، والسبب في ذلك أن معظم القساوسة ورجال الدين كانوا من الإقطاعين الذين أرادوا ثبات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فقدموا للمجتمع معرفة ثابتة هي المعرفة اللاهوتية، كانت المدينة مدينة تحكمها الصفوة وتعيش فيها، وهي الأقلية التي تتحكم في القرارات السياسية والاقتصادية بشكل ديكتاتوري.

***مرحلة التحول:** حيث كون التجار ثروات طائلة فاقت ثروات القساوسة وملاك الأراضي؛ فبعد أن كانوا يسموا بحثالة البروليتاريا أصبح الكل يتودد إليهم، وباشروا باستثمار أموالهم في بناء المصانع على أطراف المدن، وكونوا طبقة سميت بالطبقة البرجوازية.

***الانقلاب الصناعي (بدايات تشكل النظام الرأسمالي العالمي):** حيث أرادت الطبقة البرجوازية قلب النظام الإقطاعي إلى نظام صناعي رأسمالي، وكان الحل هو تغيير الفكر السائد، ومواجهة الفكر الكنسي اللاهوتي فمثالً مرض الإنسان لوجود أرواح شريرة بجسمه فيرد عليها العلماء بتقديم معرفة علمية حقيقية، الكنيسة تقول يمرض الإنسان لوجود اختلال بيولوجي أو كيميائي في الجسم عن طريق مسببات مادية، وكان أن احتضنت الطبقة البرجوازية العلماء، فالعلوم التي تخدم الصناعة والنظام الرأسمالي هي التي تطورت تطور جذري. وهنا ظهر علم الاجتماع الغربي كوليد للنظام الرأسمالي، ومن نتائج هذه المرحلة نذكر:

- ✓ **تحول المركز الاجتماعي لإنتاج:** حيث كانت القرية هي المركز الأساسي لإنتاج وذلك لارتباط النظام الإقطاعي بالإنتاج الزراعي، ولكن بانفجار الثورة الصناعية أصبح هناك نظاما اجتماعيا جديدا اتخذ المدينة مركزا له، وكان ذلك بشكل طبيعي لأن الطبقة البرجوازية من سكان المدن أساسا، والبرجوازية هي التي قادت الانقلاب الصناعي، كما تطورت نظم المصانع الحديثة في المدينة وأصبحت المدينة مركز جذب لقوى العمل الموجودة في الريف.
- ✓ **تحرير قوى العمل:** من الشعارات الفلسفية التي قامت عليها الرأسمالية تحرير قوى العمل بمعنى تحرير حركتها التي كانت مقيده تحرير حركة الانتقال بوجه عام. وقد أدت حرية حركة الانتقال (انتقال قوى العمل وانتقال التجارة) إلى زيادة عدد الهجرات بصورة كبيرة من الريف إلى المدن، وظهور خصائص جديدة للمدنيين فبعد أن كانت المدينة مدينة صغيرة أصبحت مدينة طبيعية طبقية بها العديد من الطبقات الجديدة كطبقة البروليتاريا أي الطبقة العاملة الصناعية.
- ✓ **ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية:** كنتيجة لفيض قوة العمل مثل انخفاض الأجور، زيادة ساعات العمل، خروج النساء والأطفال للعمل، انتشار مظاهر البؤس والتخلف في المدينة نتيجة تكدس الأفواج العاملة المتدهورة في مناطق معينة. أيضا، ظهور طبقات جديدة في المدينة كالبرجوازية، والبروليتاريا، واتسام العلاقة منذ البداية بالتوتر؛ وذلك لان الطبقة البرجوازية تسعى لاستغلال جهود العمال من خلال الأجور المنخفضة من ناحية وزيادة ساعات العمل على من ناحية أخرى، رغبة في الثراء السريع وتحقيق مركز اجتماعي مسيطر حيث كان ينظر لهذه الطبقة سابقا أنها لا تتمتع بأي أصل اجتماعي بحكم هامشيتها وعزلتها في النظام القديم وبحكم تكونها من فئات محتقره كالبروتستانت واليهود، حيث كانت النظرة لهذه الطبقة أنهم محدثو غنى أو أغنياء جدد صعدوا من قاع المجتمع لقمته وليس لهم هم إلا زيادة ثرواتهم بصرف النظر عن المعايير الأخلاقية. بالإضافة إلى ظهور أشكال جديدة من الملكية، حيث كانت الملكية في النظام الإقطاعي هي ملكية أراضي زراعية، ولكن مع سيطرة النظام الرأسمالي ظهرت الملكية الرأسمالية أي ملكية (رأس المال الثابت) كالمصانع وألالت (ورأس المال الصغير) المصرفي والمالي، وقد نظر بعض المفكرين لهذا الشكل من الملكية نظرة دلت على أنه نتيجة للجشع والاستغلال واللاأخلاقية.

❖ مدخل عام للنظرية السوسيولوجية في علم الاجتماع

تعد النظرية في جانبها الواقعي والفكري من الأمور الهامة التي شغلت اهتمام رجال الفكر الاجتماعي. وربما يرجع اهتمامهم بالجانبين الاساسين في النظرية الى قضية فلسفية هامة بدأبها هذا الفكر، ألا وهي مسألة العلاقة بين الوجود الاجتماعي والفكر في علم الاجتماع أو بلغة كونت السوسيولوجيا وواقع الامر أن العلاقة بين الفكر والواقع هي علاقة تفاعلية بينهما وذلك بغض النظر عن أسبقية أحدهما على الآخر، وهو موضع الخلاف الأساس، فالنظرية عبارة عن تعميمات مترابطة معبرة عن وقائع اجتماعية معينة. وهذه الوقائع لا تنشا من فراغ، كما أنها تنطوي على مضمون ثقافي وإطار سوسيولوجي ذي أبعاد ايدولوجية أو هي بالأحرى تعبر عن فكر ذي مضمون سياسي مرتبط بمصالح اجتماعية وتاريخية محددة.

وتعني أن النظرية بهذا المعنى مجموعة من القواعد والمبادئ الإجرائية التي تحدد سياسة الباحث في علم الاجتماع وطريقته في دراسة ظواهر المجتمع. وذلك أن الباحث في علم الاجتماع قد تكون له نظرة عامة تحوي مجموعة من التوجيهات النظرية والمبادئ المنهجية التي توجه سيره في دراساته، والتي يحرص على اتباعها في هذه الدراسات ويحث غيره من الباحثين على مراعاتها في تناولهم للظواهر الاجتماعية بالوصف والتفسير.

اهتم كثير من العلماء والمفكرين بتعريف النظرية السوسيولوجية بهدف التفرقة بينها وبين النظرية العلمية في مجال العلوم الطبيعية وقدم هؤلاء تعريفات عديدة أهمها:

ينظر للنظرية في علم الاجتماع على أنهما المحك العلمي الذي يفسر لنا الحقائق التي تعايشها

أوهي القانون الذي يحكم ويفسر ويحلل مختلف الظواهر الاجتماعية التي نصادفها في حياتنا اليومية ويستند عليها لتفسيرها بمختلف الوسائل العلمية وأساليب الملاحظة

لذا تعتبر النظرية جزءا أساسيا من الحقيقة الواقعة في حياتنا اليومية للوصول الى نتائج ملموسة و واقعية.

والنظرية السوسيولوجية تفسر الواقع الاجتماعي لمحاولة فهما لمجتمع

- هي الأساس الكامن وراء تفسير كل فرد لما يفعله ويشاهده يوميا من هذه الظواهر الاجتماعية بحيث يؤلفون واقعهم الاجتماعي والبيئي بمجموعة من الأفكار والايديولوجي والتجارب التي تفسر الحقيقة التي يعايشونها.

<u>بالنسبة لبارسونز النظرية السوسيولوجية:</u> "هي نسق نظري يشكل وحدة لمفاهيم مترابطة ومتساندة منطقيا وبنائيا، لها مرجعية امبريقية في الواقع تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية اشتقاق فرضيات جديدة أو تعميمات تعبر عن انتظامات امبريقية"

<u>ويعتبرها روبرت ميرتون"</u> مجموعة من التصورات المترابطة منطقيا، تلك التصورات المحددة والمتواضعة في نطاقها، وليست تلك الشاملة والمحتوية لكل شيء.

ودارندورف اعتبرها "مجموعة قوانين يستخرج منها استنتاجات دقيقة غير متحيزة، لها فعالية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس من واقعها الحقيقي

<u>عبد الباسط عبد المعطي:</u> "نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة ظواهر متجانسة، يحتوي على مفاهيم وقضايا نظرية توضح العلاقة بين الظواهر، وتنظمها بطريقة ذات معنى، ولها بعد إمبريقي يعتمد على الواقع ومعطياته، وذات توجيه تنبؤي يساعد على فهم مستقبل الظاهرة ولو بصيغ احتمالية."

بالنظر إلى التعريفات السابقة نجدها تركز على أن النظرية تتكون من: (مفاهيم، ومكونات)

المفهوم: "هو مصطلح يستخدمه أصحاب العلم الواحد؛ لتوصيف ظاهرة ما، مما يساعد في عملية الفهم والتواصل فيما بينهم ومنعا للخلط والتضارب".

من المفاهيم الاجتماعية: (مجتمع، جماعة، طبقة اجتماعية، نظرية اجتماعية، تفاعل اجتماعي، تنمية اجتماعية، تخطيط اجتماعي، أسرة، قبيلة، عشيرة، مؤسسة اجتماعية... إلخ.(

المفاهيم ليست شيئًا ماديا مجردا يمكن لمسه، إنما تعبر عن أنماط سلوك يمكن ملاحظتها، مثلًا: مفهوم (الانطواء)، يمكن ملاحظته من خلال إحجام الفرد عن تكوين علاقات اجتماعية واسعة مع أقرانه، أو تفضيله الجلوس في مؤخرة في القاعة... إلخ.

المكونات: "هي مصطلح مكون من عدة مفاهيم". مثلًا: (الذكاء) مكون من عدة مفاهيم كـ: (القدرة اللغوية، والقدرة الرياضية، والقدرة على التصور... إلخ).

الوظائف الأساسية للمفاهيم: عملية تحديد المفاهيم لها عدة وظائف، نذكر منها ما يلي:

- توفر المفاهيم لغة مشتركة تمكن الباحثين من التواصل فيما بينهم.

-تقدم المفاهيم للعلماء منظورا، أي طريقة لرؤية الظواهر، فهي تساعد على ضبط المعطيات التي ترتبط بالمفهوم واستبعاد المعطيات الطفيلية التي ليست لها علاقة بالمفهوم، هذا يؤدي إلى وضوح النتائج النهائية ودقتها والى إزالة الغموض المحتمل أن يشوب بعض النظريات ، وأحيانا يساعد في صياغة سلسلة من الافتراضات،

-يمكنها إثراء النظرية وتوسيع نطاقها.

-تساعد في بناء المؤشرات التي يمكن ملاحظتها بالنسبة للمعطيات التي تتطلبها المقاربة الامبريقية.

ملاحظة: المفهوم العلمي السوسيولوجي يتميز بميزتين أساسيتين:

أ -النسبية: المفهوم السوسيولوجي يتغير بتغير معطيا ت الواقع وفقا للسياق الاجتماعي العام والأفكار والإيديولوجيات التي توجهه، فمفهوم الجريمة في المجتمع الغربي هو غيره في الشرق ومفهوم الدين في المجتمعات البدائية ليس هو نفسه في المجتمعات المعاصرة.

ب -المفهوم العلمي لا يشكل في ذاته الوحدة التحليلية الأساسية للنظرية.

خلاصة: أخذا بالاعتبارات السابقة فإن صياغة المفاهيم تعتبر من المهام الأساسية في تأسيس النظرية، علما أن المفهوم العلمي قد يكون مجردا أو واقعيا، لكن يثار التساؤل غالبا حول نوع الإجراءات التي يمكن بواسطتها بناء مفهوم تجريبي يعبر فعلا عن صنف محدد من المعطيات الواقعية، بحيث يتحول بعد اكتمال عملية بنائه إلى وحدة أساسية في بناء نظريات تالية.

❖ <u>شروط النظرية:</u>

حتى يتم وضع إطار معرفي للنظرية ال بد من توفر مجموعة من الشروط من أهمها:

- 1أن تكون مكونات النظرية واضحة و دقيقة ، محددة الألفاظ و المعاني و المضامين.
- 2أن تعبر النظرية على ما تدل عليه بإيجاز يبين محتواها و أغراضها و أهداف كل جزء من أجزائها.
- 3أن تشتمل النظرية على معظم الجوانب التي تكون تلك النظرية و تحللها و تفسرها قد الإمكان.
-4البد أن تكون النظرية ذات موضوع و إطار تفسيري خاص بها بحيث ال تتداخل مع نظرية أخرى تتناول وتفسر نفس الموضوع والقضايا.
- 5أن تستمد النظرية إطارها المرجعي و التفسيري من حقائق و ملاحظات واقعية يمكن اختبارها علمياً

بشكل يثريها ويمنحها الخاصية العلمية.
- 6من شروط النظرية الهامة قدرتها على التنبؤ ، بحيث ال تقف عند الوصف و التفسير إنما تتجاوزهما الى القدرة على التنبؤ.

❖ وظائف النظرية:

يمكن إيجاز الوظائف التي تضطلع بها النظرية العلمية على النحو التالي:
- 1تحديد هوية العلم و موضوعاته الرئيسة و ميادينه فهو من أبرز وظائف النظرية العلمية ، الذي يترتب عليه تأكيد وإظهار الدور المعرفي التراكمي وعليه يتحدد ما يجب دراسته، وما هي القضايا التي لم تدرس بعد إضافة إلى ما تم التوصل إليه من نتائج.
- 2تعتبر النظرية العلمية نقطة البدء في دراسة الظواهر الاجتماعية و الطبيعية على حٍد سواء ، ألنها تضع للباحث الإطار التصوري أبعاد وعالقات الموضوع الذي يقوم بدراسته، وتحدد له المعطيات و كيفية تنظيمها ومن ثم تصنيفها، والعالقات والترابطات والتداخلات فيما بينها، أي أن النظرية تضع للباحث الإجراءات العلمية التي سيتبعها عند القيام ببحثه.
- 3تقدم النظرية عددا كبيراً من المفاهيم التي تثري العلوم، وذلك ألن كل"مفهوم"يتضمن خبرة اجتماعية وعلمية مميزة، إضافة إلى أنه يعد تلخيصا لكثير من الحقائق التي تكون النظرية.ٍ
- 4من الوظائف الهامة للنظرية القيمة العلمية التي تمنحها للبحث فجمع البيانات بالاعتماد على نظرية أمراً تدعم المعطيات وتفسر النتائج ضر
وريا حتى ال يعد البحث ناقصاً وقاصراً، وعليه فإن العالقة ً
الجدلية بين النظرية والبحث العلمي على قدر كبير من الأهمية يجب أن يراعيها الباحث عند القيام ببحثه
- 5تساعد النظرية على اتجاه الظاهرة مستقبلا، فالتنبؤ يعني الانتقال من المعلوم من الوقائع إلى الحالات المجهولة.
- 6إمكانية الاستفادة من النظريات العلمية في مجال التطبيق.

❖ أهمية النظرية:

تكمن أهمية النظرية الاجتماعية في:
- 1أنها شرط ضروري لتفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية.
-2أنها تمدنا بالإجابة التفسيرية ألسباب حدوث الظاهرة.
-3تساهم في حل المشكلات الاجتماعية بطريقة علمية مدروسة.
-4تساعد على وصف وتحليل الواقع الاجتماعي تحليلا علميا دقيقا.
5-تساعدنا على اختيار التفسير المناسب لحدوث المشكلات الاجتماعية. على حد قول دورايكم كلما زادت كثافة السكان زاد تقسيم العمل "، على حد قول ماركس " كلما زادت حدة التدرج الطبقي كلما زاد الصراع "، على حد قول سمل Simmel" كلما زاد الصراع زاد التكامل الاجتماعي.

❖ مراحل تطور النظرية السوسيولوجية:

✓ المرحلة الأولى: الاتجاه الوضعي السوسيولوجي:

بدأ منذ حوالي الربع الأول من القرن التاسع عشر و"أوغست كونت August Compte "من أ هم أسهموا فيه .
يقول أوغست كونت: "علم الاجتماع إذا هو وليد الفلسفة الوضعية، التي سعت إلى تحرير المعرفة من العقيدة الدينية والتأمل الميتافيزقي، والالتزام الشديد بالوقائع، التي تقوم على أساس منهج البحث المتبع في العلوم الرياضية من جهة، والعلوم الطبيعية الامبريقية من جهة أخرى "

✓ المرحلة الثانية: الماركسية،

تبلورت حوالي منتصف القرن التاسع عشر، وعبرت عن جهد معين للارتقاء بتراث المثالية الألمانية، و ادماجه بنماذج أخرى من التراث، كالاشتراكية الفرنسية، وعلم الاقتصاد .
تضم مدارس من دون اتجاه علمي تجسده المدرسة الماركسية والمدرسة الجدلية فيعلم الاجتماع . حيث يقوم الفكرالماركسي "على أن التكامل والتفاعل الذي أقرته بين الوعي والوجود كان منصبا على طبيعة المعرفة وليس علىالمستوى الميتودولودجي الذي يحدد العلاقة بين الباحث وموضوع البحث .

✓ المرحلة الثالثة: علم الاجتماع الكلاسيكي :

تطورقبل الحرب العالمية الأولى يمكن النظر إلى هذه المرحلة بوصفها مرحلة توفيق، حيث حاول علم الاجتماع فيها أن يوفق بين التطورات التي حدثت في المرحلتين: الأولى والثانية، عن طر ق تحقيق نوع من التكامل بين الوضعية، والماركسية، أو البحث عن طريق ثالث، وقد اعتبرت هذه المرحلة كلاسيكية لأن معظم روادها ينظر اليهم الآن على أنهم كلاسيكيون، ومن أمثلتهم ماكس فيبر، أيميل دوركايم، وباريتو، هذا دون اغفال المحاولات التوفيقية بين بعض النماذج المختلفة ومنها التوليف بين تصورات ماركسية، واخرى وضعية مثلا .
وقد تضمن المدرسة الشيئية في علم الاجتماع لأبرز ممثليها ايميل دوركايم، ومدرسة المعنى، والفهم فيعلم الاجتماع لرائدها "ماكس فيبر"، وكذلك المدرسة التجريبية أوالسوسيوميترية (الامبريقية) لمورينو ولازارسفيلد، وكلها عكست النظريات التقليدية في علم الاجتماع، تلك التي تنهض على الإيمان بقدرة العلوم الاجتماعية محاكاة العلوم الطبيعية - منطقا ومنهجا وتتبنى الوحدات الكبرى.

✓ المرحلة الرابعة: الاتجاه الوظيفي –البنائي؛

يمكن القول أن الوظيفية كمنهج ونظرية قد ظهرت في العلوم الاجتماعية، من خلال المحاولات اتي بذلها علماء الانثربولوجيا خلال القرن التاسع عشر، من أجل المحاولات فهم الرواسب الثقافية "غ ير المنطقية " أو البقايا التي بذلها في المجتمعات البدائية .
تبلور تطور الاتجاه الوظيفي في الولايات المتحدة، وأضيفت إليه تطورات أخرى عن طريق جماعة المدرسين الـ ّشبان، الذين قاموا بدراساتهم مع تالكوت بارسونز Talcott Parsons في وقت مبكر، و تم ذلك جامعة هارفارد، ومن أمثلهم: روبرت مرتون، و"كنجزليدافيز" ، و"ويلبرت مور"، .... تعتبر الوظيفية من النظريات الكبرى المهتمة بدراسة الوحدات الكبرى، تعنى تحديدا بدراسة الأ نساق الاجتماعية والأبنية العامة، عبر تحليل مستفيض للظواهر الاجتماعية والثقافية وتفسيرها في ضوء مجمل الوظائف المتكاملة التي تؤديها الأدوار المتسقة

التي تشغلها داخل نسق المجتمع، تتبنى عددا من المقولات الفكرية كاالتوازن، والتساند الوظيفي، والتكامل المؤسساتي، والتقدم الإنساني، من أبرز روادها الأوائل ممثليها المعاصرين نجد أيميل دوركايم(البداية) وتالكوت بارسونز (النظرية الوظيفية الكبرى).

ملاحظة: هناك من علماء الاجتماع المسلمين من قام باعتماد تصنيف يشمل خمسة مراحل؛ يدرج من خلاله اسهامات العلامة العربي ابن خلدون كمرحلة أو سابقة عن جهود الغربيين في هذا المجال.

❖ تصنيف النظريات السوسيولوجية

قبل الحديث عن التصنيفات وجب علينا توضيح ما المقصود بالنظريات بالنظريات السوسيولوجية الحديثة يعتبر علم الاجتماع علما فتيا فهو إذن علم حديث مقارنة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى، مما يدفع إلى الاعتماد على أن كل النظريات التي ظهرت في علم الاجتماع هي نظريات حديثة، إلا أن تتبع تطور علم الاجتماع منذ ظهوره إلى يومنا هذا قد يدفعنا إلى تغير الرأي أو على الأقل إلى افتراض أن المقصود بصفة الحديثة هو الإشارة إلى مرحلة معينة من تطور علم الاجتماع منذ دخول الإنسانية في المرحلة الحديثة. وحتى يمكن اكتشاف هذه المرحلة يتعين تتبع مراحل تطور علم الاجتماع.

إن علم الاجتماع تخصص حديث النشأة وهو ما يزال في طور البناء، ولهذا فمن الصعب التمييز ما بين علم اجتماع قديم وعلم اجتماع معاصر وقد يبلغ الأمر حد عدم الاتفاق على مراحل محددة لتاريخه وهو ما يمكن التحقق منه خلال ملاحظة أن المؤرخين لتطور علم الاجتماع لا يعتمدون نفس التصنيف بل أن كل منهم يختار التصنيف الزمني لهذه المراحل انطلاقا من موقفه الابستمولوجي إزاء علم الاجتماع.

- في أهمية التصنيف العلمي ومعاييره.

تعد قضية تصنيف الاتجاهات النظرية المعاصرة في علم الاجتماع من بين أكثر القضايا أهمية في توضيح هذه الاتجاهات وتفهم مساراتها.

لقد لمح " هوايتد " إلى أن التصنيف أمر ضروري للعلوم، لأنه من بين الأساليب التي تسهم في التعرف على مكنونات الأشياء المصنفة، فهذا التلميح فيه قدر كبير من الصواب. لأنك عندما تهم بتصنيف فكرما، أو قضايا بعينها، يجعلك هذا تنظر في خصائص هذا الفكر، وهذه القضايا، بقصد معرفة ما يميز كل منها، حتى تضعه في فئته المناسبة، وفي عملية تحديد المميزات والخصائص، تركز على أما عن الأدوار الأخرى للتصنيف فمن بينها أنه ييسر عمليات المقارنة والمضاهاة بين الجوهر والأساس في هذا الفكر.

محتويات ما تم تصنيفه، وهي هنا اتجاهات نظرية علم الاجتماع، وهذه المقارنة تعد ضرورية لفهم الاتجاهات في جملتها، وعلى مستوى كل فيها على حدة، حيث تساعد على مقابلة الاتجاهات، وتكشف ما بداخلها وما بينها من قضايا وتوجهات وتميزات، وأسس علمية ومنهجية .... الخ.

ومع تسليم الكثيرين بأهمية هذا التصنيف وجدواه، فالملاحظ وجود إغفال نسبي لهذه المسألة، وما وجد من محاولات لا يتلاءم وأهمية التصنيف وضرورته، فضلا عن اضطراب بعض ما تم، سواء بسبب افتقاده إلى الأسس العلمية للتصنيف، أو الزحام الشديد بين ما اعتبر اتجاهات نظرية من وجهة نظر البعض، أو ارتباط بعض النظريات

بأسماء أصحابها .

يتبين من خلال العرض السابق على الرغم من كونه مقتضبا وبسيطا أن تطور علم الاجتماع تميز بتنوع النماذج التحليلية التي ظهرت وتطورت عبر مختلف المراحل التي أشرنا إليها، إلا أنه يمكن النظر إليها اعتمادا على تصنيف تناول الواقع الاجتماعي من منظورين رئيسيين: منظور مقاربة هذا الواقع انطلاقا من الكل الاجتماعي للوصول إلى الأفراد ومنظور مقاربة نفس الواقع انطلاقا من الفرد للوصول إلى الكل الاجتماعي، وهذا ما أطلق عليه بعض علماء الاجتماع ومن بينهم فيليب كوركوف في كتابه المعنون وهي الإشكالية التي Problématique constructiviste . بالإشكالية البنائية les nouvelles sociologies ,تسعى لتجاوز المقابلات الكلاسيكية بين المجتمع والفرد، النسق والفاعل. إلا أنه توخيا للتبسيط، نقترح تناول هذه الاتجاهات إلى فئتين: الاتجاهات الكليانية والاتجاهات الفردانية ولتوضيح هذا الموقف، من الضروري إعطاء تعريفين بسيطين: تعريف للاتجاهات الكليانية وتعريف للاتجاهات الفردانية مع التأكيد أن هذا التصنيف لا يعني إقامة تعارض بل يشير إلى موقفين لتنظيم الصيغ النظرية لدراسة الواقع الاجتماعي.

- **تعريف الاتجاهات الكليانية أو الشموليةCourants holistes**

تقوم الاتجاهات التي تصنف ضمن الاتجاهات الشمولية أو الكليانية على مبدأ أساسي وهو اعتبار المجتمع مركز التحليل السوسيولوجي وأن الكل الاجتماعي يختلف عن حصيلة جمع الأفراد وهذا ما يعني أنه لفهم سلوك الأفراد ودراسة الوقائع الاجتماعية يتعين دراسة الكل الاجتماعي من خلال معرفة الذي يحكم سيره. وتستعمل هذه النظريات مفاهيم مثل: النسق L'ordre النظام والبنية Système وغيرها من المفاهيم التي تسمح بفهم Fonctionوالوظيفة Règles والقواعد Normes والمعايير Structure Totalités الأجزاء بربطها بفهم الكليات
وتعتبر أطروحات إيميل دوركايم المصدر الرئيسي لنشأة وتطور الاتجاهات المصنفة ضمن الموقف الكلياني ومن أبرز هذه الاتجاهات نذكر:
ومن أبرز رواده في الانثروبولوجيا روث بينيدكت (Ruth Benedict 1887 -الثقافويةLe culturalisme
(1948ومرغريت ميد (1901- 1978) ورالف لينتون (1893- 1953) وفي علم الاجتماع روبرت ليند و هيلن ليند و ليود وارنر و روبرت هوقارت .
ومن أبرز روادها في علم الاجتماع روبرت مرتن، وتلكوت بارسونز Les fonctionnalismes الوظيفيات، وجيفري ألكسندر، ونيكولاس نومن.
ومن أبرز روادها في علم الاجتماع بيار بورديو، وأنطوني جيدنز Les structuralismes.البنيويات
ومن أبرز روادها في علم الاجتماع سيمور مرتن Les courants comparatistes الاتجاهات المقارنة
(Varsovie 1923) .ليبست (نيويورك) وصمويل نوا ايزنشتاد
ومن أبرز روادها في علم الاجتماع ألن تورين (L'actionnisme 1925 (الفعلوية)
ومن أبرز روادها في علم الاجتماع "يورغن هابرمس" (La théorie critique 1929) النظرية النقدية
ومن أبرز روادها في علم الاجتماع "رالف داهرندورف" (Le néo marxisme (1929-الماركسية الجديدة،وماكس هورخايمر (1895- 1973) وتيودور ادرنو (1903- 1969)

- **الاتجاهات الفردانية:**

انطلاقا من أطروحات ماكس فيبر ظهرت عدة اتجاهات سوسيولوجية تقوم على مبدأ أساسي يتمثل في تصور المجتمع على أساس اعتبار الفرد هو القيمة المركزية، وهذا يستدعي إعطاء الأهمية للفرد في التحليل؛ واعتبار الظواهر أو الوقائع الاجتماعية بإرجاعها إلى الأفراد أي هي نتيجة لإقامة علاقات بين الأفراد انطلاقا من دوافعهم ونواياهم أو الأهداف التي يسعون إلى بلوغها وتبعا لظروف حدوث هذه العلاقات أو هذه الظواهر. وهذا لأن هذه الظواهر ليست نتيجة محدد مسبقا ولكن هي ممارسات يومية وملموسة تحدث في ظرف اجتماعي محدد في المجتمع .

وهناك عدة اتجاهات يمكن تصنيفها ضمن الاتجاهات الفردانية ويمكن أن نذكر من بينها الاتجاهات التالية:

- ✓ التفاعلية الرمزية ومن أبرز روادها هربرت جورج بلومر وهوارد صول بيكر وبيتر برجر وطومس لوكمن، وهارولد قارفنكل و،ارفين قوفمن.
- ✓ نظرية التبادل الاجتماعي ومن أبرز روادها جورج هومنس.
- ✓ نظريات الاختيار العقلاني ومن أبرز روادها نخبة من الباحثين في الاقتصاد وعلم الاجتماع الذين يشتركون في بناء نماذجهم التحليلية انطلاقا من توظيف مفهوم العقلانية.

وكنتيجة للتحولات التي شهدها الحقل السوسيولوجي في كل من أوروبا، وأمريكا، وبروز تقاليد أخرى في أمريكا اللاتينية وبلدان المعسكر الاشتراكي في ظرف تميز بالحركة الفكرية، ظهر اتجاه إلى يجمع ما بين الموقفين؛ وهذا لأن فهم الظواهر الاجتماعية يمكن أن ينطلق من المجتمع ليصل إلى الأفراد الذين هم وراء هذه الظواهر، كما يمكن الإنطلاق من الأفراد الذين ينشؤون أو يعيدون إنتاج هذه الظواهر للوصول إلى المجتمع. وقد تطلب ذلك إعادة النظر في المفاهيم الأساسية للموقفين. ومن هذه المفاهيم: النسق، البنية، العون الاجتماعي، الفاعل الاجتماعي، الفعل الاجتماعي. ومن بين المحاولات التي هي L'approche constructiviste الآن في طور التكون المقاربة المعروفة بالمقاربة البنيوية.

تصنيف فاجنر

***– 1التصنيف على أساس البعد التاريخي:**

يعتمد أصحاب هذا التصنيف على ترتيب النظريات السوسيولوجية من خلال ظهورها من الناحية التاريخية ووفقا للمراحل الزمنية التي ظهرت فيها.كما يمكن تقسيم كل مرحلة إلى مجموعة من النظريات العامة والتي تندرج تحتها نظريات فرعية أخرى، ولقد استخدم هذا التصنيف من طرف" ليختنبرجر " في كتابه " تطور النظرية الاجتماعية " وهاوس في كتابه: " تطور علم الاجتماع ". كما اعتمد أيضا "نيقولا تيماشيف" في كتابه المميز عن " النظرية السوسيولوجية" هذا التصنيف بصورة كبيرة. فلقد تناول على سبيل المثال تيماشيف طبيعة التطور التاريخي لنظريات علم الاجتماع وقسمها إلى أربعة مراحل:

– 1المرحلة الأولى : وتتضمن نظريات علماء الاجتماع الأوائل منذ نشأة هذا العلم حتى عام 1875 ، ومن أهم نظريات هذه المرحلة نظريات كونت وسبنسر ولوبلي وماركس وفيبر وتايلور ومورغان وغيرهم.

– 2المرحلة الثانية : وتتحدد تاريخيا بالربع الأخير من القرن 19 ، وتشمل النظريات الداروينية الاجتماعية ، والسيكولوجية، والنظرية الاقتصادية، والتكنولوجية، والديموغرافية، والمدرسة الاجتماعية، والنزعة الذاتية الروسية.

– 3المرحلة الثالثة : وتمتد خلال الربع الأول من القرن العشرين ، وتتضمن مرحلة انقسام النظرية التطورية إلى أقسام فرعية، لتشمل جوانب اجتماعية وسيكولوجية ومثالية.

– 4المرحلة الرابعة والأخيرة : وهي التي تظهر تقريبا قرب القرن العشرين وتتميز بظهور مجموعة كبيرة من المدارس والاتجاهات الحديثة مثل الوضعية المحدثة، والايكولوجيا البشرية، والاتجاه الوظيفي، وعلم الاجتماع النظري، وعلم الاجتماع التاريخي والفلسفي، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الاتجاهات العقلية 8 والامبريقية .

– 2 *التصنيف على أساس البعد الجغرافي:

يعتمد هذا التصنيف عن طريق استخدام المناطق والدول التي ظهر ت فيها النظريات السوسيولوجية كمقياس لعرضها وتصنيفها. وفي هذا الإطار يمكن تصنيف النظريات السوسيولوجية في فرنسا وتشمل نظريات كونت ودوركايم على سبيل المثال. والنظرات الألمانية مثل ماركس وفيبر أو النظريات البريطانية مثل تحليلات سبنسر وفي الولايات المتحدة مثل نظريات بارسونز وغيره.

*** – 3التصنيف على أساس المنهج:**

يعتمد هذا التصنيف على أساس اختيار بعد المنهج، أو مدى التزام النظريات بالأبعاد المنهجية العلمية في دراساتها

وتحليلاتها. خلص هذا التصنيف إلى ثلاثة نظريات وهي:

- **1النظريات السوسيولوجية الوضعية** : التي يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع علما طبيعيا،أو هم يتعاملون معه على هذا الأساس.وتتضمن هذه الفئة النظريات التي تأثرت بالعلوم الطبيعية، أو قلدتها، أو تأثرت بأطرها المرجعية بإدخال أبعاد غير سوسيولوجية في تفسير الواقع الاجتماعي. ومن أمثلة هذه النظريات الوضعية الجديدة والايكولوجية الإنسانية الحديثة، والبنائية الوظيفية، والسلوكية والنظرية النفسية الحيوية في الثقافة.

- **2النظريات التفسيرية:** التي ينظر أصحابها،أو يتعاملون مع علم الاجتماع على انه علم اجتماعي يمثل تقابلا متميزا عن العلم الطبيعي.ومن أمثلة هذه النظريات، نظرية الفهم الثقافي، أي تفسير الواقع الاجتماعي بالثقافة.ومن خلالها، ونظرية الفعل.

- **3النظريات الاجتماعية غير العلمية أو التقويمية**،والتي يتعامل مؤلفوها مع علم الاجتماع كفلسفة اجتماعية،أو كإصلاح اجتماعي أو كليهما معا.

*** – 4التصنيف على أساس النماذج المستعارة من العلوم الأخرى:**

يظهر هذا التصنيف من خلال تصنيف النظريات السوسيولوجية حسب استعارتها من العلوم الطبيعية والاجتماعية الأخرى، مثل المدرسة الميكانيكية في علم الاجتماع، والمدرسة البيولوجية، والمدرسة السيكولوجية، والمدرسة الجغرافية.

يعتبر بيترم سوروكين من أبرز العلماء الذين لجئوا إلى هذا التصنيف في تناولهم للنظريات السوسيولوجية، حيث عرض لطبيعة المدرسة الميكانيكية، والتي تتناول تفسير الظواهر الاجتماعية في ضوء مفاهيم الطبيعية والكمياء والميكانيكا،

والمدرسة الجغرافية، في تحديد العلاقة بين البيئة الجغرافية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والدين والاقتصاد والأسرة،

والمدرسة البيولوجية، عند محاولة عقد نوع من المماثلة البيولوجية بين الكائن العضوي وبناءات المجتمع ووظائفه واستخدام مفاهيم مثل الوراثة والانتخاب والبقاء للأنسب أو الأصلح، ثم المدرسة النفسية عند تفسير السلوك في ضوء الخصائص والعوامل المتعددة، والمدرسة السوسيولوجية، تهدف إلى تفسير الظواهر الا رجاعها إلى أصولها الاجتماعية مثل تفسيرها للعلاقة المتبادلة بين العامل الاقتصادي كعامل رئيسي الذي يؤثر على جميع مضاهر الحياة الاجتماعية.

***– 5التصنيف على أساس الأصول الفلسفية:**

يعتبر من أبرز علماء النظرية السوسيولوجية الذين اعتمدوا على مقياس إرجاع النظريات إلى أصولها الفلسفية «دون مارتيندال» في كتابه المعروف عن " النظرية السوسيولوجية: طبيعتها وأنماطها ". حيث أشار إلى خمس نظريات رئيسية ومجموعة أخرى من المدارس الفرعية التي تندرج تحتها وهي:

: 1-5المدرسة العضوية الوضعية:

تمتد أصول هذه المدرسة ومصادرها الأساسية إلى الفلسفة المثالية، التي تركز على دراسة الواقع عن طريق اعتباره شيئا متضمنا في نوعية الأفكار، ولذا تكون الأفكار أكثر الأشياء وضوحا وتعبيرا عن الواقع ذاته. أما الوضعية فإنها تشمل الاتجاه الفكري الذي يهدف إلى تفسير العالم عن طريق الخبرة، وتمتد جذور النزعة الوضعية إلى فلاسفة اليونان القدماء، ولكنها تبلورت على أيدي كل من فرنسيس بيكون ولوك وهيوم وفولتير. وبالرغم من تأثر هذه المدرسة بالتقدم الذي في علم البيولوجيا واعتماد الكثير من روادها على استخدام المماثلة البيولوجية في تفسير الظواهر الاجتماعية، إلا أنها لاقت معارضة شديدة، وأدت إلى إهمال هذا الاتجاه لفترة محدودة، وما لبثت أن تطورت بعد ذلك من خلال ظهور الوضعية المحدثة على أيدي مجموعة من العلماء ومن أهمهم شبنجلر وسوروكين.

: 2-5مدرسة الصراع:

ترجع جذور هذه المدرسة إلى أصول فلسفية يونانية قديمة، ويعتبر صاحبها الأول الفيلسوف هيراقليطس الذي يعد أول صاحب نظرية عن التغير، وتنظر إلى الصراع عموما على أنه ظاهرة أساسية ومحورية في جميع جوانب الحياة الاجتماعية. ولكن انتقلت هذه الأفكار إلى رواد الفكر السياسي والاجتماعي خلال العصور الوسطى وعصر الإصلاح والتنوير، وظهرت على أيدي ميكيافلي وبودان وهوبز. لكن هذه المدرسة أو النظرية لم تتبنى الاتجاه الفلسفي أو العقلي ولكنها انتقلت إلى الجانب الامبريقي وا جراء الدراسات الميدانية، وذلك بفضل تحليلات كل من هيوم وفيرجسون عن النظم السياسية ، ومع بداية القرن التاسع عشر تطورت الأفكار الثورية، والتي تبنت اتجاه الصراع في تحليلاتها وهذا ما ظهر في المدرسة الماركسية، الداروينية الاجتماعية عن طريق تركيزها على دراسة كل من الطبقات الاجتماعية، كما ظهرت عند ماركس أو اهتمامها بالطابع المحافظ كما ظهرت في تحليلات كل من هربرت سبنسر و وليام سمنر

3-5الصورية أو الشكلية السوسيولوجية sociological formalism :

ارتبطت هذه النظرية بالأصول الفلسفية العقلية التي تمتد بصورة خاصة إلى الفلاسفة الإغريق، ولكنها ما لبثت أن تبلورت في شكلها الجديد على أيدي كانط، الذي سعى لتخليص العلم من النزعة الشكية، وتبني النزعة العقلية وذلك عن طريق الاعتماد على دراسة أنواع معينة من القضايا التحليلية والتركيبية، واللذان يكونان طبيعة المعرفة. وتهدف عموما إلى ضرورة الربط بين الاتجاه العقلي والاتجاه الواقعي الامبريقي في تفسير المعرفة الإنسانية عموما. ولكن ما لبثت أن تطورت هذه النظرية وأخذت إشكالا جديدة خلال القرن التاسع عشر، ولاسيما بعد ظهور ما

يعرف بالاتجاه الفينومينولوجي، كما ظهرت في تحليلات رينوفيه في فرنسا أو كتابات بارك وسانتيان في الولايات المتحدة، أو تحليلات جورج زيمل في ألمانيا

: 4-5السلوكية الاجتماعية:

ترجع الأصول الفلسفية لهذه النظرية لكل من الفلسفة المثالية والبراجماتية في نفس الوقت، وتعتمد أيضا على كل من المدخل السلوكي في تفسير الظواهر الاجتماعية، وتحليلها لموضوعات وقضايا علم الاجتماع بشكل متعارض مع كل من المدرسة الوضعية والصراعية، وأيضا المدرسة الصورية أو الشكلية الاجتماعية، وتركز المدرسة السلوكية الاجتماعية على استخدامها مناهج امبريقية جديدة في الدراسات السوسيولوجية، وذلك من اجل تجنب الأخطاء أو المشكلات المنهجية كما حدث للمدارس والنظرات السابقة الأخرى.

عموما تطورت النظرية السلوكية الاجتماعية وانقسمت إلى ثلاث مدارس فرعية وهي: السلوكية الجمعية، والتفاعلية الرمزية ونظرية الفعل الاجتماعي، وتركز الأولى على تبني مجموعة من المقاييس الاجتماعية الكمية لدراسة الظواهر الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية، واهتمت كثيرا بمعالجة قضايا مثل التغير والضبط الاجتماعي والشخصية. أما التفاعلية الرمزية، فترجع جذورها إلى الجمع بين والبراجماتية والمثالية المحدثة، وتهتم بدراسة العلاقة المتبادلة بين الشخصية الفردية والبناء الاجتماعي. كما أن نظرية أو مدرسة الفعل الاجتماعي، ترتبط بتحليلات ماكس فيبر على وجه الخصوص، ولكنها تبلورت أيضا على أيدي كل من فيبلي وماكيفر وبارسونز وميرتون وآخرون.

: 5-5الوظيفية السوسيولوجية:

ترتبط هذه المدرسة بتحليلات مجموعة من رواد علم الاجتماع التي تتركز على دراسة الوظيفة السوسيولوجية عند دراستها للأنساق أو البناءات الاجتماعية سواء تلك الأنساق أو البناءات أو الوحدات كبيرة الحجم أو الوحدات أو البناءات صغيرة الحجم، ولقد جعلت هذه البناءات أو الوحدات بمثابة وحدة التحليل الرئيسية أو التي يطلق عليها بالتحليلات الكبرى والصغرى. ولقد جاءت تحليلات كل من براون ومالينوفبسكي وباريتو وبارسونز وليفي وميرتون وهومانز لتمثل دراسة الأنساق أو المجتمعات الكبيرة، بينما تندرج كتابات كل من ليفن وزاندر وغيرهم عن طريق تبني المدخل المصغر أو دراسة المجتمعات الصغيرة. ولكننا نلاحظ أن كتابات روبرت ميرتون جمعت بين استخدام المدخل الوظيفي عند دراسة الظواهر الاجتماعية وتحديده لطبيعة النظرية السوسيولوجية المثلى لدراسة المجتمع الحديث أو ما اسماه: بالنظريات المتوسطة، والتي تجمع بين النظريات الكبرى والصغرى عامة.

- 6التصنيف على أساس البعد السوسيولوجي:

يعتمد هذا التصنيف بالدرجة الأولى على ضرور ة استخدام المدخل السوسيولوجي في دراسة الظواهر الاجتماعية. ولقد عندما أشار إلى ضرورة الأخذ في الاعتبار استخدم هذا التصنيف أحد منظري النظرية السوسيولوجية وهو والتروالاس مجموعة من الملاحظات عند تصنيف النظريات والتي يجب أن يقوم بها الباحث قبل تفسيره للظواهر الاجتماعية أو الوصول إلى تعميمات حولها بصورة كلية. من أهمها هي البعد عن الذاتية وتحري الموضوعية عند دراسته وتفسيره للظواهر والمشكلات الاجتماعية.

7-التصنيف على أساس البعد الإيديولوجي:

ارتبطت النظرية السوسيولوجية خلال النصف الأخير من القرن العشرين، بطبيعة الايدولوجيا العالمية أو النظام العالمي خلال هذه الفترة. وهذا ما جعل هذه النظريات تصنف على أساس مدى تبنيها للاتجاه المحافظ أو الليبرالي،

أو الاتجاه الماركسي أو اتجاه الصراع. ويستطيع المتتبع للتراث النظري السوسيولوجي خلال النصف الثاني من القرن الحالي، أن يتعرف بوضوح على نشأة المدارس والنظرات والمذاهب وعلاقتها بالنظام الإيديولوجي أو تبنيها اتجاها إيديولوجيا معينا توصف به عامة. وربما تعتبر تحليلات زيتلين المميزة للنظرية السوسيولوجية وتصنيفاتها في ضوء علاقتها بالايدولوجيا خير مثال على ذلك، حيث رجع بأصول النظريات إلى الأصول الفلسفية وخاصة فلسفة التاريخ ولاسيما آراء فلاسفة التنوير، وأيضا تميزه للاتجاه المحافظ الذي ظهر في الدول الغربية مثل تحليلات سيمون وكونت وفيبر وميشلز ودوركايم ولبارسونز. كما تعتبر تحليلات الفن جولدنر وكتابه المميز عن "الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي" من أهم التحليلات التي ربطت بين النظرية السوسيولوجية والبناء الإيديولوجي، واعتبار الإطار الإيديولوجي أحد العوامل المسيطرة على فكر.

❖ العلاقة بين النظرية العلمية و البحث العلمي

تحديد طبيعة العلاقة بين النظرية العلمية و البحث العلمي: يمكن تحديد طبيعة العلاقة بين النظرية العلمية (النظرية الاجتماعية)، والبحث العلمي (البحث الاجتماعي) بعد تحديد المساهمات العلمية التي يقدمها كل منهما للآخر و التيحددناها بناء على ثلاثة أسس هي:

- **1-على أساس الخطوات**: تتحدد العلاقة بين النظرية العلمية و البحث العلمي وفقا لهذا الأساس فيمايلي:

-إن البحث العلمي و منه الاجتماعي خصوصا، يشمل على النظرية أو ما يعرف بالاتجاه النظري للبحث، و الذي يتحدد من خلال مجموع المفاهيم المتداولة في البحث و تحديدا تلك المتضمنة في العنوان، إضافة إلى ما تتضمنه الإشكالية من مفاهيم، على اعتبار أن الإشكالية تكون مركزة و قوية بما تحتويه من مضامين و دلالات، و لا يتسنى ذلك إلا بتداول مفاهيم، مع العلم أن هناك مفاهيم مرتبطة بنظريات محددة، و على الباحث أن يختار المفاهيم التي تستعملها النظرية المتبناة و لا يخلط بين مفاهيم النظريات المتناقضة، فإذا ما تبنى النظرية الماركسية مثلا، فإنه يتداول مفاهيم الصاع، التغير، الثورة، البناء الفوقي...

-كما يتجلى الاتجاه النظري في البحث من خلال الفرضيات التي هي محل اختبار، فالفرضية هي مشروع لبناء نظرية، كما أن النظرية هي في اختبار دائم فالنظرية صالحة مادامت قادرة على تفسير الواقع و استشرافه(و لهذا فهي دائما فرضية تنتظر الاختبار)كل نظرية هي فرضية في حين أن الفرضية ليست دائما هي نظرية.

-في نهايةالبحث، على الباحث أن يناقش نتائج بحثه في ضوء النظريات التي ضمنها في الجانب النظري لبحثه.

- **2-على أساس الوظائف:** وتتحدد في النقاط التالية:

-تتمثل وظيفة النظرية العلمية في تنظيم البحث و قيادته و توجيه الباحث إلى أهدافه الأساسية و توضيح الارتباطات والعلاقات بين المعطيات).

-النظرية، نقطة البدء في البحث العلمي، الذي يعد عملية تفاعلية، يتكامل فيها ما هو نظري مع ما هو تطبيقي، تتحدد هذه النقطة في أي بحث وفقا لمجالين هما:

- -الواقع الاجتماعي بأبعاده و مظاهره و مشكلاته المختلفة.
- -الأفكار و القضايا و النظريات التي سبق لها تفسير الواقع. وبالمقابل يسعى البحث العلمي عموما و في مجال العلوم الاجتماعية خصوصا، للوصول إلى نظريات تصف و تفسر انتظاميات السلوك الإنسانيو الظواهر الاجتماعية المختلفة، وذلك من خلال قياس العالم الواقعي و فقا لخطوات منهجية دقيقة.

- -لا تثبت صحة النظرية و مصداقيتها و كفاءتها ما لم تصف و تتنبأ بالسلوك الإنسانيي لهذا تبقى دائما محل اختبار و تقييم للتأكد من مدى صلاحيتها و تخضع للتعديل أو الرفض كلما كان ذلك واقعيا، ما يستوجب ملاءمتها مع المقاييس المستخدمة في البحث).

من خلال الإطار النظري (النظرية)، يستطيع الباحث أن يتعرف على ما هو أكثر أهمية لبحثه حتى يأخذ به، و ما هو أقل أهمية فيستبعده، كما يصبح بإمكانه أن يحدد أدوات جمع المعلومات المناسبة، و يعين مستويات التحليل التي يعالج من خلالها ما تم جمعه من بيانات و معلومات، لذلك فالتوجه النظري ينبغي أن يكون حاضرا في كل أجزاء البحث المتكاملة كوحدة مشكلا إطارا محددا.من ذلك مثلا: المفاهيم و المتغيرات و المؤشرات و الفرضيات و أسلوب التحليل. وكلها تتلون تبعا للتصور النظري و المقاربة النظرية للبحث). لأن البحث بالمفهوم العلمي لا يتحقق إلا في سياق نظري محدد، يساعد في فهم حقيقة مسار البحث في طريق دون آخر.

- **3-على أساس الأهداف:** يمكن تحديدها في النقاط التالية:

-يعتبر البحث أحد آليات النظرية الاجتماعية، التي بواسطتها تستطيع النظرية أن تبرهن على أحد أهدافها أو قضاياها أو قوانينها، التي تريد الوصول إليها في صياغتها أو أن توسع من تعميماتها، أو أن تحول من نصوصها إلى قضايا ناضجة و مكملة. بتعبير آخر أنه إذا غاب البحث الاجتماعي تفقد النظرية مصداقيتها و برهانها و تصميمها، ذلك لأن البحث هو المورد الرئيس للأحداث الاجتماعية المستمدة من الواقع و هو أيضا الأكفأ في تحقيق مطلب الموضوعية النسبية في العلوم الاجتماعية.

-تهدفالنظرية العلمية إلى وضع تفسير عام لسير الظواهر الاجتماعية. بمقدار دقة النظرية و انضباطها يكون بلوغ الأهداف البحثية.

- تساعد النظرية على التنبؤ ، وهو إحدى أهداف البحث العلمي.

وقد خلص "معن خليل عمر" إلى جملة من الاعتبارات، تخص النظرية و البحث، تتمثل في:

1-تعمل النظرية على توجيه البحث نحو الموضوعات الجديرة بالبحث.

-2تساعد النظرية في تسهيل إدراك دلالة و مغزى نتائج البحث على اعتبار أن هذه النتائج ليست أجزاء منعزلة عن بعضها البعض، و إنما هي جزء من قضية أكثر تجريدا.

3-من خلال توجيهاتها العامة التي تنطوي عليها، فإن النظرية تحدد للباحث السياق العام الذي يجري فيه بحثه.

-4 تقوم النظرية من خلال التصورات و المفاهيم التي تنطوي عليها بتوجيه جمع البيانات و تحليلها.

خلاصة:

إن تحديد طبيعة العلاقة بين النظرية العلمية و البحث العلمي، هي علاقة جدلية تتحدد بتفاعل النظرية و البحث مع بعضهما (علاقة التأثير و التأثر)، لأن النظرية تقوم بتنشيط البحث من خلال توجيه مختلف مراحل

مساره و مساعدته في تفسير البيانات، والبحث العلمي يثري النظرية بما يتوصل إليه من نتائج قد تكشف عن بعض الثغرات أو النقائص في النظرية، مما يؤدي إلى رفضها أو إثرائها أو تعديلها.

❖ الآليات المنهجية الضرورية لمعالجة الظاهرة الاجتماعية

(كمثال تدعيمي يشرح لنا طبيعة العلاقة بين النظرية والبحث، ونفهم أكثر متى تصبح النظرية في حد ذاتها منهجا للدراسة وطريقة للتفكير):

بعد استعراضنا بشكل مختصر لطبيعة العلاقة بين النظرية، والبحث العلمي الاجتماعي، والوظائف المتوقع أن تسهم بها النظرية في انجاز البحث العلمي الاجتماعي، وكذلك بالنسبة للوظائف المتوقع أن يسهم بها منهج البحث العلمي الاجتماعي، نطرح التساؤل التالي:

-هل تختلف المداخل النظرية والإجراءات المنهجية اللازمة لمعالجة الظاهرة الاجتماعية نفسها في حال ُدِرست من قبل باحثين ينتمون لمدارس فكرية مختلفة؟

تتطلب الإجابة عن هذا السؤال من الباحث أن يفترض ظاهرة اجتماعية معينة , ويرسم تصوراً للمدخل النظري, وللإجارءات المنهجية التي سينطلق منها الباحثان اللذان ينتميان لمدرستين فكريتين مختلفتين في دراستهما للظاهرة نفسها , مثلا دارسة ظاهرة الانتحار .

إن الباحث الاجتماعي يرى طبيعة الظاهرة الاجتماعية والعوامل المفسرة لها من خلال المفاهيم والمقولات النظرية التي تتكون منها النظرية، فعلماء الاجتماع الوضعيين يتبنون الرؤية القائمة على مماثلة العلوم الاجتماعية بالعلوم الطبيعية , ويأخذون بمبدأ ضرورة اشتقاق الفرضيات الأساسية المفسرة للظاهرة من مبادئ النظرية الاجتماعية نفسها , فالتماسك الاجتماعي عند "دوركايم" مثلا يقوم على مجموعة من المفاهيم المشتقة منه, فالفرد يكون متماسكاً بقوة عندما يكون متزوجاً ولديه أطفال، ومتدين , فكلما كانت هذه المؤشرت مرتفعة دل ذلك على ارتفاع مستوى التماسك , وانخفضت مقابل ذلك احتمالات الانتحار لديه , ولقد تطلب هذا التصور من "دوركايم" التعرف على الحالة الاجتماعية للفرد (متزوج أو غير متزوج) , وعدد الأطفال , ومن ثم مظاهر التدين، ووفق هذا التصور فإن منهج البحث يهدف إلى التحقق من صحة النظرية , وهذا يرتب على الباحث أن يحدد الإجرءات المنهجية التي تتيح له اختبار فرضياته , وأن يعمل على استخلاص المفاهيم المرتبطة بالنظرية بشكل جيد , وصياغة المؤشرت التي تساعد على قياس المفاهيم .

يبدأ الباحث **كخطوة أولى** بطرح سؤال البحث ", ما العوامل الاجتماعية للانتحار؟."

وكخطوة ثانية وللإجابة عن هذا السؤال على الباحث أن يستنتج أو يستقرئ وفق الافتراضات المرتبطة بموضوع بحثه , أو وفق ما يتوافر لديه من معرفة أمبريقية ناجمة عن التطبيق في دارسات سابقة، أو معرفته الشخصية لأشخاص حاولوا الانتحار لأسباب اجتماعية؛ الأمر الذي يهديه , مثلا , إلى معرفة أن فقدان الشخص لعمله من الأسباب الاجتماعية الدافعة للانتحار؛ وهذا يعني أن الباحث سيهتم , من أجل تقديم تفسير موضوعي للظاهرة الاجتماعية , بالبحث عن الأسباب الاجتماعية لحدوث الظاهرة , وهذا ما أ

كده "دوركايم ", حيث يرى أن الأسباب الحقيقية للظواهر الاجتماعية لا تكمن في الوعي الفردي , بل في الوعي الجمعي , ولذلك على الباحث السوسيولوجي أن يركز اهتمامه على الوعي الجمعي لمعرفة الأسباب الحقيقية للظواهر الاجتماعية. ويؤكد "دوركايم" ذلك عندما يقول: " يجب البحث عن السبب في وجود إحدى الظواهر الاجتماعية بين الظواهر الاجتماعية السابقة لها لا بين الحالات النفسية التي تمر بشعور الفرد " **(راجع درس الاتجاه الوضعي -دوركايم امتداد للوضعية- وتصنيف النظريات على أساس الأصول الفلسفية)**

ويرى دوركايم " أن لكل مجتمع من المجتمعات مزاجه الذي لا يملك أن يغيره بين عشية وضحاها , وبما أن لهذا الميل للانتحار منبعه داخل البنية الأخلاقية للجماعات , فمن المحتم أنه يختلف من جماعة إلى جماعة , وأنه يظل , في داخل كل جماعة , وخلال سنوات طويلة معادلاً لذاته بنحو ظاهر" وهذا يعني أن معدل الانتحار لجماعة معينة يمتاز بثبات أكثر من ثبات معدل الوفيات العامة للجماعة نفسها , وذلك لأن" الشروط المتعددة التي تتعلق بها الصحة العامة تتغير من سنة إلى أخرى , بنحو أسهل بكثير من تغير مزاج الأمم "

وقد يضع الباحث نتيجة لاستنتاجاته واستقراءاته حول موضوع البحث إجابات مؤقتة أخرى(فرضيات) ليجيب عن سؤال البحث , مثلا , " ضعف التزام الفرد بالتعاليم الدينية هو سبب الانتحار ," أو "عدم زواج الفرد هو سبب الانتحار ...وهكذا ."

في الخطوة الثالثة يقوم الباحث بتبني نظرية/ أو بناء نظرية أو فرضية أو فرضيات ترتبط بموضوع بحثه , كأن يتبنى نظرية التماسك الاجتماعي , أو يحاول بناء نظرية جديدة , ليستخلص فرضية أو فرضيات بحثه , فمثلا يستخلص من نظرية التماسك الاجتماعي الفرضيات الآتية: (لا يؤدي فقد الفرد لعمله إلى الانتحار) أو لا يؤدي ضعف التزام الفرد بالتعاليم الدينية إلى الانتحار) أو (لا يؤدي عدم زواج الفرد إلى الانتحار).... الخ.

في الخطوة الـ اربعة يقوم الباحث من خلال جمع البيانات الميدانية وتحليلها بإخضاع الفرضيات لاختبارات أمبريقية للتأكد من مدى صحتها ومطابقتها للواقع. فإ ْن أثبت الاختبار صحتها وتطابقها مع الواقع , يكون الباحث قد توصل إلى الإجابة عن السؤال الذي طرحه في بداية بحثه , ِوان لم يثبت الاختبار الأمبريقي صحة النظرية والفرضية أو الفرضيات , ففي هذه الحال , ترفض النظرية أو تعدل وفقاً لما يحصل عليه الباحث من وقائع جديدة.

ويختلف الأمر إذا ما تمت معالجة الظاهرة وفقاً لمدرسة فكريةأخرى فقد تصبح النظرية بحد ذاتها منهجاً للدراسة عندما يراد بها أن تكون طريقة للتفكير , لأن الباحث في هذه الحالة يحدد رؤيته للظاهرة ولأشكالها , والعوامل المؤدية إليها, وحتى الآثار المترتبة عليها من خلال المقولات النظرية نفسها, ومن ثم فإن رؤية الباحث للظاهرة تحدّد تصوراته للعوامل المفسرة لها , انطلاقاً من المفاهيم والفرضيات المستمدة من النظرية التي يتبناها كإطار نظري لتفسير الظاهرة , لذلك لم يختر دوركايم عامل الفقر , مثلا , كعامل يمكن أن يؤدي إلى الانتحار لأن مقولاته النظرية المرتبطة بنظرية التماسك توجهه نحو فرضيات مستمدة منها , ومن ثم تستبعد النظرية فرضيات محددة وتنتقي فرضيات مناسبة لتؤدي دور الموجه في البحث العلمي , ويندرج هذا الأمر على الإجراءات المنهجية اللاحقة ذات الصلة بتصميم أداة البحث، واختيار مجتمع الدراسة وحتى

طريقة اختيار العينات , وطرق التحليل ومعالجة البيانات وغير ذلك , ووفقاً لهذا التصور تعد النظرية منهجاً شاملاً للبحث على مستوى الرؤية وطريقة التفكير واختيار الفرضيات والتساؤلات , وكذلك على مستوى الإجراءات المنهجية التفصيلية ذات الصلة بالتطبيق.

- واذا كانت المسألة الأولى القائمة على فصل النظرية عن المنهج واضحة فإن المسألة الثانية القائمة على اعتبار النظرية بحد ذاتها منهجاً تحتاج إلى مزيد من التوضيح والأمثلة , فعلى سبيل المثال , إذا أراد **باحث ماركسي** دراسة ظاهرة الانتحار , فإن طريقة تفكيره ورؤيته للمجتمع , لن توجهه نحو عوامل التماسك الاجتماعي بحسب نظرية دوركايم , بل نحو قضايا الفقر والطبقات والصراعات الطبقية , والنظرية الاجتماعية , في هذه الحالة , تعد منهجاً في التفكير , بدلالة أن الباحث الماركسي السابق نفسه يأخذ بمنهج التفكير ذاته عندما يريد معالجة البطالة , أو الجريمة أو تعاطي المخدارت.

إن ما قيل عن الباحث الماركسي في هذا التوضيح ينطبق على الباحث الدوركايمي , حيث يتجه تفكيره إلى نظرية التماسك الاجتماعي لأنها تتوافق مع مبادئه الفكرية التي ينتمي إليها. كما أن استخدامه لنظرية الصراع الاجتماعي كعامل مفسر للظواهر الاجتماعية يتناقض مع مبادئه الفكرية.

أما بالنسبة للباحث الماركسي , على افتراض أنه يريد دراسة الانتحار كظاهرة اجتماعية , فإنه ينطلق من مفاهيم ومقولات نظرية الصراع الاجتماعي لهذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الاجتماعية , فيبدأ , مثلا , **كخطوة أولى** بطرح سؤال البحث الاتي ", ما العوامل الاجتماعية للانتحار؟."

وكخطوة ثانية للإجابة عن هذا السؤال , يعود الباحث إلى مفاهيم ومقولات نظرية الصراع الاجتماعي ليستنتج أو يستقرئ منها العوامل والأسباب الاجتماعية الدافعة إلى الانتحار.

"ووفقاً لنظرية الصراع هناك صراع على الحقوق بين ذوي الامتيازات والذين لا يملكون هذه الامتيازات وهذا الأمر متأصل في علاقتهم ببعضهم بعضاً" .

وانطلاقاً من ذلك" فإن نظرية الصراع تعطي اهتماماً أكبر للصراع الموجود في العلاقات بين الجماعات التي توزع عليهم الامتيازات بعدم التساوي , وتقول إن محتوى الثقافة ينبغي أن ننظر إليه كوسيلة لاستمرارية علاقات عدم التساوي" وتتنوع أنواع عدم المساواة وأشكالها في مجتمع ما ", فالجماعات المختلفة يمكن أن تمتلك كميات غير متساوية من القوة والسلطة والاعتبار أو الثروة أو كل هذه الأشياء ومزايا أخرى" ترتكز نظريات الصراع على أشكال عدم المساواة , وكذلك على أنواع المزايا التي تعدها موزعة بشكل غير متساوي , لكن هذه النظريات تشترك في حقيقة ثابتة مفادها أن أساس عدم المساواة هو سيطرة الجماعات ذوي المزايا على الجماعات التي لا تمتلك هذه المزايا.

إن تبني الباحث الماركسي لنظرية الصراع يقوده إلى معرفة أن حرمان الشخص لحقوقه سبب من الأسباب الاجتماعية للانتحار .وقد يضع الباحث نتيجة لاستنتاجاته واستقراءاته حول موضوع البحث إجابة

مؤقتة أخرى ليجيب عن سؤال البحث , مثلا , "إن استغلال العامل وحرمانه من نتائج عمله هو سبب الانتحار"... وهكذا ."

في الخطوة الثالثة يقوم الباحث بتبني نظرية الصراع الاجتماعي , فمثلا , يستخلص من نظرية الصراع الاجتماعي الفرضيتين الآتيتين:

(لا يؤدي حرمان الشخص من حقوقه إلى الانتحار) أو (لا يؤدي استغلال العامل وحرمانه من نتائج عمله إلى الانتحار).

في الخطوة الـ اربعة (نفس الإجراءات السابقة للطرح الدوركايمي).